أثر التأويل في التنزيه وردِّ الشُّبَه

م.د.مصطفى ذياب عبد

ملخص البحث

الحمدُ للـه ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على اشرفِ المرسلينَ، وخاتمِ النبيينَ سيِّدنا مُحَمَّد، وعلى اله وصحبه اجمعين، ومن هُديَ بهديه الى يوم الدين.

وبعد؛ فإنَّ أَصلَ الدِّين معرفةُ الله سبحانهُ وتعالى، فلو خُلِيَ الإنسانُ وعقلهُ دونَ أَنْ يقومَ بينهما أَيُّ حاجزٍ من الميول النَّفسية أَو الأَغراض الدُّنيوية أَو وسوسة الشَّيطان، لَمَا عاقهُ أَي شيءٍ عن الإيمان بالله تعالى، ولَوَجدَ الكونَ مشحونًا بالبراهينِ النَّاطقة بوجوده تعالى، ولكنَّ اللهَ سبحانهُ وتعالى وقد شاءتْ حكمتهُ أَنْ يبلوَ النَّاسَ بعضهم ببعض ثمَّ يمتحنهم أَيُّهم أَحسن عملاً، فجعلَ إلى جانب العقل المرشد للحقِّ في فطرة الإنسان السليمة، شهواتٍ وأَهواءٍ مُضَلِّلة، فتولدتْ بذلك الشُّبَهُ المصطنعة وتكاثفتْ الغشاواتُ المختلفة، وكما أَنَّهُ قدْ قامتْ بعضُ الفرقِ الإسلامية، ومِنْ خِلالِ التأويل بالغوصِ في جميعِ المدلولاتِ والمعاني، التي يمكنُ أَنْ تحملَها هذه اللفظة أَو تلك، فيُقلِّبونها على الوجوهِ المختلفة، التي يمكنُ أَنْ تحملَها، ثمَّ ينتقونَ المعنى الذي لا يعارضُ الأَصلَ المذهبيَ الذي يسعونَ إلى إقراره، متناسينَ في سبيلهِ جميعَ المعاني والمدلولاتِ الأُخرى.

فاستجابةً إلى أَنَّ العملَ على نشرِ العلم مِنْ أَقربِ القُرُباتِ إلى الله تعالى، خاصةً فيما هو متعلِّقٌ بردِّ الشُّبُهاتِ التي تتعلَّقُ بالجانبِ العقدي في ديننا ممَّا يؤَثِّرُ في الإيمانِ، ولبيانِ المنهجِ الحقّ؛ فمِنْ أَجلِ هذا وددتُ البحثَ في موضوعٍ يُظهرُ أَثرَ التأويل في تنزيه الباري عزَّ وجلَّ عن الشريك وعن التشبيه بالحوادث، وكذا في الردِّ على شبهات المنكرين للنبوات، قدر الاستطاعة والله سبحانه وتعالى المعين في ذلك.

وقد ذكرتُ في المقدَّمةِ، اهميةَ الموضوعِ وسببَ اختياره، وذكرتُ في المبحث الأَول أثر التاويل في الصِّفات الخبرية، ويقعُ في مطلبين: الأَول: تعريفُ التأويل، والثَّاني: التعريفُ بالصفات الخبرية وأثر التأويل فيها.

وذكرت في المبحثَ الثَّاني أَثرَ التأويل في التنزيه وردِّ شُبَه المنكرين، وجعلتهُ على مطلبينِ: الأَول: لبيانُ أَثرِ التأويل في تنزيه الباري عن الشريك، والثَّاني: لبيانُ أَثرِ التأويل في الردِّ على بعض شُبَهِ المنكرين للنُّبوات.

وأَوجزتُ في الخاتمةِ أَهمَّ النتائجِ التي توصلتُ اليها في البحث، وأَخيراً ثبتُ المصادر والمراجع.

وقد توصلتُ وبالله التَّوفيقُ الى النتائجِ الآتية:

١. إنَّ التَّداخلَ بين العلوم حقيقةٌ ثابتةٌ، فَعلمُ العقيدة له إرتباطٌ وثيق بعلوم اللغة والنَّحو والبلاغة.

٢. لا سبيل للقضاء على التَّشبيه إلَّا إذا أُوِّلتْ الصِّفاتُ الخبريةُ الواردةُ بالنُّصوص، وحين رأَى العلماءُ أَنَّ فَتْحَ بابِ التَّأويلِ لهُ أَضرارهُ الجسيمة، وضعوا لهُ القواعدَ، حتى لا يؤَدِّي الى التلاعب بالنُّصوص وفق الهوى، دون الإلتفات الى أُصول الشَّريعة ومقاصدها، وأَنْ يُصارَ إلى التأويل، إذا أَدتْ- في حالة أَخذها- إلى التَّجسيم، او قام الدَّليل

العقـلي الصحيح على بطلان المعنـى الذي يؤخذُ من ظاهر النَّصِّ، وأَلَّا نصل بسببِ التأويلِ إِلى معنى يهدمُ أَساسًا مِنْ أُسسِ الشَّريعة.

٣. الإِفادةُ من التأويل في توضيحِ مفرداتِ العقيدةِ، مـع محاولةِ ربـطِ علومِ اللغـةِ العربيـة لفهمِ علوم القرآن الكريم وإِدراكِ بعضِ أَسراره.

٤. يرتكـزُ اَثر التأويل في بحثنا عـلى الدَّليل النَّقلي فحسـب؛ لذلك يكونُ واضحًا في المسائل العقدية المسـتندة في إِثباتها عـلى الأَدلة النَّقليـةِ، أَكثرَ من المستندةِ في اثباتها على الأَدلة العقلية.

٥. إِنَّ بعـضَ الفِرَقِ الإِسـلاميةِ قد سَـخَّروا البلاغةَ في أَكثر الأَحيـان لخدمةِ عقيدتهـم، واتخذوا منها سلاحًا أَساسيًا في تأويل ما تشابهَ من الآي؛ إِذ كانوا يلتزمـونَ بتوجيهاتٍ بلاغيةٍ حتى ولو كانت ضعيفةً، لكنْ بـشرطِ أَنْ لا تتعارضَ مع مذهبِهم الإِعتقادي، مُتناسـينَ في سـبيلِهِ جميـعَ المعـاني والمدلولاتِ الأُخرى.

هـذا خلاصة ما توصلتُ اليهِ مِـنْ نتائجٍ ومقترحاتٍ وتوصياتٍ، والحمدُ لله وليِّ التَّوفيقِ والرَّشاد.

❊ ❊ ❊

Research Summary:

Praise be to God who raised the worlds, and may peace and blessings be upon the most honorable messengers, and the seal of the prophets, our master Muhammad, and upon all God and his companions, and whoever is guided by his guidance to the Day of Judgment, and after …

For the origin of religion is the knowledge of God, glory be to God Almighty. If man and his mind were clear without any barriers of psychological inclinations, worldly purposes, or Satanic whims, he would not be hindered by anything from faith in God Almighty, and the glory of God His wisdom was for people to urge each other and then test them, which is the best deed, so that, besides the guiding mind of the right to the right of human nature, he made misleading desires and passions, thus creating the artificial suspicion and the intensification of various oppressions. And just as some Islamic groups have arisen, through interpretation to dive into all the meanings and meanings that can be borne by this word or that, they overturn them on the various faces, which can be carried, then they

prophecies, it falls into two requirements, and I summarized in the conclusion the most important results that I reached in the research, and finally I confirm the sources and references.

By God's success, I reached the following results:

1. The overlap between the sciences is a fixed fact, and the science of belief has a close connection with language sciences, grammar, and rhetoric.

2. There is no way to eliminate the analogy except when the news qualities mentioned in the texts are given, and when scholars have seen that opening the door to interpretation has grave harms, they set rules for him, so that it does not lead to the manipulation of the texts according to the whims, without the attainment, If it leads - in the case it was taken - to anthropomorphism, or the correct mental evidence is based on the nullity of the meaning that is taken from the apparent text, and otherwise, because of the interpretation, we do not reach a meaning that basically destroys the foundations of the law.

3. Benefiting from interpretation in exchoose the meaning that does not oppose the origin of us, to those who do not contradict the origin of us, For all other meanings and connotations.

In response to the fact that working on spreading knowledge from one of the closest relatives to God Almighty, especially as it relates to the return of suspicions related to the doctrinal aspect of our religion, which affects the faith, and to clarify the right approach, and for this reason the purpose of this research is evident On the part of the partner and on analogy with accidents, as well as in responding to suspicions of those who deny the prophecies, as much as possible, and God Almighty appointed in that.

In the introduction, I mentioned the importance of the topic and the reason for choosing it, and I mentioned in the first topic the effect of interpretation in news attributes, and it falls into two requirements: the first: the definition of interpretation, and I made the second topic: to show the effect of interpretation in Al Bari's entreatment from the partner, and to show the effect of interpretation in response to suspicions of deniers For

plaining the vocabulary of belief, while trying to link the sciences of Arabic language to an understanding of the sciences of the Noble Qur'an and the realization of some of its secrets.

4. The effect of interpretation in our research is based only on the evidence of transmission. Therefore, it is clear in the contractual issues that are based on proving them on the evidence of evidence, rather than based on the evidence on the mental evidence.

5. Some Islamic factions have often used rhetoric to serve their faith, and they took from them a basic weapon in interpreting the similar verse; if they adhere to rhetorical directives even if they are weak, but with the condition that they do not contradict them, they do not contradict them. And other meanings.

This is a summary of my findings, proposals and recommendations. Thank God, the Guardian of success.

❊ ❊ ❊

المقدمة

الحمدُ لله الذي قـصرتْ عبارةُ البلغاءِ عن الإحاطةِ بمعـاني آياته، وعجزتْ أَلسُـنُ الفُصحـاءِ عن بيانِ بدائـعِ مصنوعاتـه، خلقَ الإنسـانَ وشرَّفـهُ بخلافةِ الأَرض؛ ليصـلَ إلى تحقيقِ قـول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ [الذَّارِيَات الآية ٥٦] ، ثمَّ الصَّلاةُ والسَّـلامُ على سـيِّدنا مُحَمَّد، الذي خصَّهُ الله تعـالى بكمال الفصاحة، وأَنطقهُ بجوامعِ الكلِّم، صلَّى اللهُ عليهِ وسـلَّمَ وعـلى آلهِ واصحابهِ السُّـعداءِ القائمـينَ بهديهـم إلى الحقيقـة مجازًا، واتباعه المُحسنينَ الهداةِ للخلقِ إلى الحقِّ بإثباته.

أَمَّا بعدُ؛ فإنَّ أَصلَ الدِّين معرفةُ الله سـبحانهُ وتعالى كـما يليق بجلالـه وعظمته، وإنَّ العمـلَ على نشرِ العلم مِنْ أَقربِ القُرُباتِ إلى الله تعالى، خاصةً فيما هو متعلِّقٌ بردِّ الشُّبُهاتِ التي تتعلَّقُ بالجانبِ العقدي في ديننا ممَّا يؤَثِّرُ في الإيمان، ولبيانِ المنهجِ الحقّ؛ فمِـنْ أَجلِ هـذا وددتُ البحثَ في موضـوعٍ يُظهرُ أَثـرَ التأويلِ في تنزيه البـاري عزَّ وجلَّ عن الشريك وعن التشبيه بالحوادث، وكذا في الردِّ على شُبُهاتِ المنكرينَ للنُّبوات، قدر الاسـتطاعة واللهُ سـبحانهُ وتعالى المعينُ في ذلك.

وقـد قسّـمتُ هذا البحـث على مقدَّمـةٍ ومبحثين، حيثُ ذكرتُ في المقدَّمةِ، اهميةَ الموضوعِ وسـببَ اختيـاره، وذكرتُ في المبحث الأول أثر التأويل في الصِّفات الخبرية، ويقعُ في مطلبين: الأَول: تعريفُ التأويل،والثَّـاني: التعريفُ بالصفـات الخبرية وأثر

التأويل فيها.

وذكـرتُ في المبحثَ الثَّاني أَثـرَ التأويل في التنزيه وردِّ شُـبَه المنكرين، وجعلتهُ عـلى مطلبين: الأَول: لبيـانُ أَثـرِ التأويـل في تنزيه الباري عـن الشريك، والثَّـاني: لبيانُ أَثرِ التأويل في الردِّ على بعض شُـبَهِ المنكرين للنُّبوات.

وأَوجـزتُ في الخاتمـةِ أَهمَّ النتائـجِ التي توصلتُ اليها في البحث، وأَخيراً ثبتُ المصادر والمراجع.

وأَخـيراً أَرجـو من الله العليـم الخبـير أَنْ اكونَ قدْ وُفِّقْتُ فيما كتبتُ، فما اصبتُ فيه فذلك بفضلِ الله سـبحانهُ وتعالى عليَّ، وما أَخطأَتُ فيهِ فمنْ نفسي، وأَسـألُ اللهَ العظيـمَ أَنْ يجعلَ هـذا العملَ خالصًا لوجهـهِ الكريـمِ وأَنْ يكـونَ حجةً لي لا عـليَّ، إِنَّهُ سميعٌ مجيبٌ.

❊ ❊ ❊

المبحث الأول

أثر التأويل في الصِّفات الخبرية

وهو على مطلبين:

- **المطلب الاول: تعريف التأويل**

التأويـل في اللغـة مـن (الأوْل)، وهـو الانصراف، والتضعيـف للتعدية، او مـن (الأيل) وهو الصرف، والتضعيـف للتكثـير، وقيل: التأويل هـو بيان احد محتملات اللفظ، وقيل: إنَّ التفسير والتأويل واحد، ولكـن التفسـير بيان مـراد المتكلـم؛ ولذلك قيل: التأويل مايتعلق بالدراية، والتفسير ما يتعلق بالرواية، والتفسـيرُ اعمُّ من التأويل، واكثر استعمال التفسير في الالفاظ ومفرداتها، واكثرُ اسـتعمال التأويل في المعـاني والجمـل، واكـثر مايسـتعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها[1].

وقـال الراغـب: التأويـل مـن الأولِ، أي الرجـوع الى الاصـل حيث قال الله سـبحانه وتعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾ [الأَعْرَاف الآية ٥٣]، أي: بيانهُ، الذي غايتهُ المقصودةُ منه، وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٣٥﴾ [الإِسْرَاء الآية ٣٥]، أي: احسـنُ معنى وترجمة، وقيل: احسـنُ ثوابًـا في الاخـرة[2]، ويبـدو لي مما تقـدم أَنَّ هذه

(١) ينظـر: الكليـات، ايـوب بـن مـوسى الكفـوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: د.عدنـان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة -بيروت-، ط٢، ١٤٣٢هـ، ص٢١٧.

(٢) ينظـر: مفـردات الفـاظ القـرآن، الراغـب

المعاني لكلمة التأويل كلها مناسبة، وسيأتي مزيدًا من البحث في المطلب الأتي إنْ شاءَ الله تعالى.

- **المطلب الثاني: التعريف في الصفات الخبرية وأَثر التأويل فيها**

قد وردتْ في القرآن الكريم والأَحاديث النَّبوية الشَّريفة نصوصٌ تُضيفُ الى الله عزَّ وجلَّ صفات خبريةً، تُوهمُ التَّشبيهَ كالإستواءِ والمجيئ والنُّزول .... الخ، فاختلفوا فيها على أَقوال ثلاثة[١].

- **الأول: التَّوقف**

أَي: التَّوقفُ الكاملُ مِنْ غير جنوحٍ الى التَّأويل[٢] او سقوطٍ في التَّشبيه، وهو مذهبُ السَّلفِ الصالح، فهؤلاء آمنوا بهذه الصِّفاتِ الخبرية، واجروها على ظاهرها، ولمْ يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل، مع تغليبهم أَدلةِ التنزيه، لوضوحِ دلالتها وكثرتها، وعلمهم بإستحالة التَّشبيه؛ لذا قال كثيرٌ منهم: «اقرأوها كما جاءتْ»، أَي: أَمنوا بأَنَّها مِنْ عند الله تعالى، ولا تتعرضوا لتأويلها ولا لتفسيرها، لجواز أَنْ يكونَ ابتلاءً، فيجبُ الوقفُ والاذعان[٣]؛ لأَنَّ التأويلَ أَمرٌ ظني بالإتفاق يحتمل الخطأ، لايمكن أَن تُفَسَّرَ به صفاتُ الله عزَّ وجلَّ، احترازًا عن الوقوع في الزيغ، فنُفوِّضُ معانيها الى الله تعالى[٤].

- **الثَّاني: التَّوغل في التَّشبيه**

فمنهم من (شَبَّهَ في الذَّات بإعتقاد اليد والقدم والوجه عملاً بظواهر وردتْ بذلك، فوقعوا في التَّجسيم الصَّريح ومخالفة آيِ التَّنزيه المطلق؛ لأَنَّ معقوليةَ الجسم تقتضي النَّقص والإفتقار)[٥]، ثم يفرونَ مِنْ شناعة ذلك بقولهم، جسمٌ لا كالأَجسام. ومنهم مَنْ ذهبَ الى التَّشبيه في الصِّفات، كإثبات الجهة والإستواء والنُّزول والصَّوت والحرف وأَمثال ذلك، وآلَ قولُهم الى التَّجسيم، فنزعوا الى مثل الأَوَّلينَ، أَي: قولهم صوتٌ لا كالأَصوات، وجهةٌ لا كالجهات، ونزولٌ لا كالنزول[٦]... ، (وذلك تمسكًا بالتَّفسير الحرفي للآيات والأَحاديث المُوهِمَة للتَّشبيه والتَّجسيم)[٧].

الاصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم -دمشق-، الدار الشامية -بيروت-، ط٤، ص٩٩ كتاب الالف.

(١) ذكرَ هذه الأَقوالَ الثلاثةَ ابنُ الجوزي في كتابه، دفعُ شُبَهِ التَّشبيهِ بأَكُفِ التَّنزيه، للإمام الحافظ ابي فرج عبد الرَّحمن بن الجوزي المتوفى (سنة ٥٩٧هـ)، تحقيق : مُحَمَّد زاهد الكوثري، المكتبة التَّوفيقية، ص٧٣ ومابعدها.

(٢) التَّأويل : (أَصله من الأَوْلِ وهو الرُّجوع، فكأَنَّه صرفَ الآية الى ما تحتمله من المعاني، وقيل من الإيالة وهي السِّياسة ؛ كأَنَّ المُؤَوِّلَ للكلام ساسَ الكلامَ ووضعَ المعنى في موضعه). الإتقانُ في علومِ القرآن، للإمام عبدِ الرَّحمنِ ابنِ أَبي بكر السَّيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م)، ص٨٤٧.

(٣) يُنظرُ: المقدمة، للإمام وليِّ الدِّين عبدِ الرَّحمن بن مُحَمَّد ابن خلدون، المتوفى سنة ٨٠٨هـ، دار الشَّرق العربي سوريا، (١٤٢٥هـ)، ص٤٢١.

(٤) يُنظرُ: أُصولُ الدِّين الإسلامي، للدكتور رشدي بن مُحَمَّد بن عليان والدكتور قحطان بن عبد الرَّحمن الدَّوري، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ص١٢٥ وما بعدها.

(٥) المقدمة، ابن خلدون، ص٤٢١.

(٦) يُنظرُ: المقدمة، لإبن خلدون، ص٤٢٢.

(٧) أُصولُ الدِّين الإسلامي، د. رشدي عليان و د. قحطان الدَّوري، ص١٢٧.

• **الثَّالث: التَّأويل**

قال الفخر الرَّازي[١]: (هو أَنَّهُ وردَ في القرآن الكريم ذكرُ الوجه، وذكرُ العين، وذكرُ الجنب الواحد، وذكرُ الأيدي، وذكرُ السَّاق الواحدة، فلو أَخذنا بالظاهر يلزمنا إثباتُ شخصٍ لهُ وجهٌ واحدٌ، وعلى ذلك الوجه أَعينٌ كثيرةٌ، وله جنبٌ واحدٌ، وعليه أَيدي كثيرةٌ، ولهُ ساقٌ واحدةٌ، ولا نرى في الدنيا شخصًا أَقبحَ صورةٍ مِنْ هذه الصورة المتخيلة، ولا أَعتقدُ أَنَّ عاقلاً يرضى أَنْ يصفَ ربَّهُ بهذه الصِّفة)[٢]؛ ولهذا فلابدَّ مِنْ التأويل، فهو أَمرٌ لابدَّ منهُ لكلِّ عاقلٍ، وعند هذا قال المتكلمونَ: لمَّا ثبتَ بالدَّليل أَنَّ اللهَ تعالى مُنَزَّهٌ عن الجهة والجسمية، وجبَ علينا أَنْ نضعَ لهذه الأَلفاظ الواردة في القرآن الكريم والأَخبار الصحيحة مَحْمَلاً صحيحًا؛ لئَلَّا يصيرَ ذلك سببًا للطعن فيها[٣].

وقد غلطَ مصنفو الصِّفات الخبرية، في أَنَّهم سَمُّوا الأَخبارَ أَخبارَ صفاتٍ، وإِنَّما هي إِضافاتٌ، وليس كلُّ مضافٍ هو صفة، فإِنَّ الله سبحانهُ وتعالى قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحِجر الآية ٢٩]، فليس لله عزَّ وجلَّ صفةٌ تُسمَّى روحًا، فقدْ إِبتدعَ مَنْ سمَّى المضافَ صفةً، وغلطوا ايضًا في أَنَّهم جعلوا الأَحاديثَ على مقتضى الحسِّ، فقالوا : ينزلُ بذاته وينتقلُ ويتحركُ، ثمَّ قالوا: لا كما يعقلُ، فغالطوا مَنْ يسمعُ، فكابروا الحسَّ والعقلَ، فحملوا الأَحاديثَ على الحسيات[٤].

فلا سبيل للقضاء على التَّشبيه إِلَّا إِذا أُوِّلتْ الصِّفاتُ الخبريةُ الواردةُ بالنُّصوص، وحين رأَى العلماءُ أَنَّ فَتْحَ بابِ التَّأويلِ لهُ أَضرارهُ الجسيمة، وضعوا لهُ القواعدَ، حتى لا يؤَدِّي الى التلاعب بالنُّصوص وفق الهوى، دون الإِلتفات الى أُصول الشَّريعة ومقاصدها[٥]، وقد قام المتكلمونَ بمحاولاتٍ للتَّقليل مِنْ خطورة التَّأويل، وذلك عنْ طريق:

أ. تعريف التَّأويل والمتشابه: (التَّأويل هو إِخراجُ دلالةِ اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية، مِنْ غير أَنْ يُخِلَّ ذلك بعادة لسان العرب في التجَّوز.....)[٦]، والمتشابه: (ما لا يستقل بنفسه إِلَّا بردِّه الى غيره)[٧].

(١) الفخر الرَّازي: هو مُحَمَّدٌ بنُ عُمرَ بنِ الحسنِ بنِ الحسين البكري أَبو عبد الله فخر الدِّين الرَّازي، الإِمام المُفَسِّر، أَوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الاوائل، وهو قرشي النَّسب، أَصله مِنْ طبرستان، ومولدهُ في الرَّي واليها نسبتهُ، المتوفى (سنة ٦٠٦هـ)، ومن تصانيفه: مفاتيح الغيب، والمطالب العالية، والمحصول في علم الأُصول. يُنظرُ: الأَعلامُ ، خيرُ الدِّينِ الزَّركلي، دار العلم للملايين ، بيروت، ٣١٣/٦.

(٢) أَساسُ التَّقديس، للإِمام فخرِ الدِّين الرَّازي، تحقيق: د. أَحمد حجازي السَّقا، دار الجيل، بيروت، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، ص٩١.

(٣) يُنظرُ: أَساس التَّقديس، فخر الدِّين الرَّازي، ص٩٥.

(٤) دفعُ شُبَهِ التَّشبيهِ بأَكُفِّ التَّنزيه، للإِمام الحافظ أَبي الفرج عبد الرَّحمن بن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ، تحقيق: حسنُ السَّقاف، دار الإِمام النَّووي، ط٣، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، ص٢٩ وما بعدها.

(٥) يُنظرُ: دراسات في الفِرق والعقائد الإِسلامية، د. عرفان عبد الحميد، دار التَّربية - بغداد، ص٢٢٤ ومابعدها.

(٦) فصلُ المقال فيما بين الحكمة والشرَّيعة، أَبو الوليد مُحَمَّدٌ بنُ أَحمدَ الشَّهير بابن رشد، طبعة بلا تاريخ، ص٥٨.

(٧) الإِتقان في علوم القرآن، للسِّيوطي، ص٤٧٥.

ب. تحديد ما يجوز تأويله ومالا يجوز تأويله من النُّصوص، (وجواز التَّأويل يستند الى قيام البرهان على استحالة الظاهر، لذا فصرفُ اللفظِ عن ظاهره الى معناه المرجوح لا يجوز إلَّا عند قيام الدَّليل القاطع على أَنَّ ظاهرَهُ محالٌ ممتنعٌ)[١].

ت. وإذا جاز التأويلُ، فما هي شروطه، ولمَنْ يجوزُ؟

• **أَمَّا الشروط فلابدَّ مِنْ ملاحظة الأَتي:**

أَولاً: أَنْ يُصارَ إِلى التأويل، إِذا أَدتْ النُّصوصُ - في حالة أَخذها- إِلى التَّجسيم.

وثانيًا: وأَن يُصَارَ الى التَّأويل، متى قام الدَّليل العقلي الصحيح على بطلان المعنى الذي يؤخذُ من ظاهر النَّصِّ.

وثالثًا: وأَلَّا نصل بسببِ التأويلِ إِلى معنى يهدمُ أَساسًا مِنْ أُسسِ الشَّريعة[٢].

لأَجل ذلك تنبَّهَ علماءُ الكلامِ الى ما في التَّأويل مِنْ خطرٍ وما يصاحبهُ مِنْ تفريقٍ للشَّملِ، وتقسيمٍ للأُمة الى فئاتٍ متباغضة متناحرة، فصاروا يمنعونهُ بين فئةِ العوام من النَّاس، وقلَّلوا من الخوض في التأويلات المجازية، وامتنعوا مِنْ صرفِ الظواهر إِلَّا بقدر وحذر[٣]، وقسَّموا الخلقَ على فئتينِ:

١. فِئةُ العوامِ:

وهؤلاء مُنعوا من الخوض في التأويل، وقالوا فيهم: والحقُّ فيهم الإِتباعُ والكفُّ، والحذرُ عن ابداء التَّصريح في تأويلاتٍ لمْ تُصَرِّحْ بِهِ الصحابةُ، والزجرُ عن الخوض في الكلام[٤].

٢. فِئة خواصِّ النَّاس:

وهم (النُظَّار الذين اضطربتْ عقائدهم المشهورة الموروثة، فينبغي أَنْ يكونَ بحثُهم بقدرِ الضرورة، وتركهم الظاهر بضرورة البرهان القاطع، ولا ينبغي أَنْ يُكفِّرَ بعضهم بعضًا)[٥].

ومِنْ ثمَّ لابدَّ من الإِشارة الى أَنَّ اَثرَ التأويل يظهرُ مِنْ خلالِ تأويلاتِ هؤلاء المؤَوِّلينَ للنُّصوص المتشابهة بما يتفقُ وتنزيه الله تعالى عمَّا لا يليقُ بِهِ.

• **ومن أَمثلة تأويلات هؤلاءِ للنُّصوصِ المتشابهةِ:**

أ. ما يُوهِمُ الجِهةَ:

كما في قول الله سبحانهُ وتعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه الآية ٥]، إِنَّ الإِيمانَ باستواءِ الله عزَّ وجلَّ على العرشِ واجبٌ، فالله تعالى على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه الآية ٥]، وإِذا خيفَ على العامَّة «لقُصُورِ افهامهم»، استحالةُ فَهمِ الإِستواء إِلَّا باتصالٍ ونحوهِ مِنْ لوازمِ الجسيمة، فلا بأسَ بصرفِ فهمهم الى الإِستيلاء؛

(١) دراسات في الفِرقِ والعقائد الإِسلامية، د.عرفان عبد الحميد، ص٢٢٦ ومابعدها.

(٢) يُنظرُ: دراسات في الفِرقِ والعقائد الإِسلامية، د.عرفان عبد الحميد، ص٢٢٨.

(٣) يُنظرُ: دراسات في الفِرقِ والعقائد الإِسلامية، د.عرفان عبد الحميد، ص٢٢٩.

(٤) يُنظرُ: فيصل التَّفرقة بين الاسلام والزندقة، لحجة الإِسلام الإِمام أَبي حامد مُحَمَّد بنِ مُحَمَّد الغزالي، المتوفى (سنة ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمود بيجو، دار البيروني - دمشق، ط. سنة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص٤٦.

(٥) فيصل التَّفرقة بين الاسلام والزندقة، للإِمام الغزالي، ص٤٧.

صيانةً لهم عن المحذور[١]، فالإستيلاءُ والقهرُ ونفاذُ القدرِ وجريانُ الأحكام الإلهية، فهذا كلهُ مستقيمٌ على قانون اللغة، فقد قال الشَّاعر:

قد استوى بِشرٌ على العراق
مِنْ غير سيفٍ ودمٍ مِهراق[٢]

ولله عزَّ وجلَّ المثل الأعلى، فالذي يقرر ذلك: أَنَّ الله تعالى إنَّما أَنزلَ القرآنَ بحسبِ عُرفِ أَهلِ اللسان وعاداتهم[٣]، ويمكنُ تأويلُ العرشِ في هذه الآية الكريمة، على معنى المُلك، كأَنَّه أَرادَ أَنَّ المُلك ما استوى لأَحد غيره جلَّ جلاله وعمَّ نواله، وهذا التَّأويل مأخوذٌ مِنْ قول العرب: ثُلَّ عرشُ فلانٍ، إِذا ذهب مُلْكُهُ[٤].

وقال جماعة من أَهل المعاني : (إِنَّ قولَ الله تعالى: استوى، إِخبارٌ على خَلْقِ العرشِ، وعَمَدَ الى خَلْقِه ، فسمَّاه استواءً كقول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فُصِّلَت الآية ١١] ، أَي: قَصَدَ وعَمَدَ الى خَلْقِ السَّماءِ، فكذا ها هنا، وهذا القولُ مرضي عندَ العلماءِ، وليس فيه تعطيلٌ ولا تشبيهٌ)[٥]، ويبدو لي هو الأقرب من التأويلات، والله اعلم.

ب. ما يُوهِمُ الجسميةَ:

كما في قول الله سبحانهُ وتعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفَجْر الآية ٢٢]، فالكلامُ في هذه الآية الكريمة على توجهين:

١. أَنْ تُحملَ هذه الآية على باب حذف المضاف، وعلى هذا التَّوجيه ، ففي الآية وجوهٌ: منها

- وجاء أَمرُ ربِّكَ بالمحاسبة والمجازاة.
- وجاء ربُّكَ، كما يقال: جاءَنا المَلِكُ القاهرُ، إِذا جاءَ عسكرُهُ.
- وجاءَ ظهورُ معرفةِ الله تعالى بالضرورة في ذلك اليوم «يوم القيامة»، فصار ذلك جاريًا مجرى مجيئه وظهوره[٦].

٢. التَّوجيه الثَّاني: لا تُجعَلُ هذه الآية على حذف المضاف، بأَنْ يكونَ المرادُ في هذه الآية، التَّمسكَ بظهور آياتِ الله تعالى، وسرِّ آثار قدرته وقهره وسلطانه، والمقصودُ هو تمثيلُ تلك الحالة بحال المَلِك، ولله المثل الأَعلى، إِذا حضرَ المَلِكُ فإِنَّه يظهرُ بمجردِ حضورِه، مِنْ آثارِ الهيبة والسِّياسة، ما لا يظهرُ بحضور عساكره كلِّهم[٧].

ويبدو لي أَنَّ هذا التأويل هو الأَقرب، بسبب ما يظهرُ مِنْ أَهوالٍ عظيمةٍ في يومِ القيامةِ، واللهُ أَعلمُ.

ت. ما يُوهِمُ الصورةَ:

ما وردَ في صحيح البخاري، واللفظُ له، عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (خلقَ

---

(١) يُنظرُ: المسامرةُ شرحُ المسايرة، لإبن الهمام، كمالُ الدِّين مُحَمَّدٌ بنُ مُحَمَّد الشَّافعي، المتوفى سنة ٩٠٦هـ، المكتبةَ العصرية، بيروت، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، ص٥٩.

(٢) قيل: القائل هو البَعيث أو الأَخطل، وبشر هو بشر بن مروان .

(٣) يُنظرُ: اساس التَّقديس، فخر الدِّين الرَّازي، ص١٧٨ .

(٤) يُنظرُ: أُصولُ الدِّين، للإمام عبدِ القاهرِ بنِ ظاهرِ البغدادي، المتوفى (سنة ٤٢٩هـ)، دار الكتب العربية – بيروت، ص١١٣ .

(٥) البرهانُ في علوم القرآن، للإمام بدرِ الدِّين مُحَمَّدٍ بنِ عبدِ الله الزَّركشي، تحقيق: مُحَمَّدٌ ابو الفضل إِبراهيم، مكتبة دار التُّراث، القاهرة ، ٨٢/٢.

(٦) يُنظرُ: أَساس التَّقديس، فخر الدِّين الرَّازي، ص١٢٣ .

(٧) يُنظرُ: أَساس التَّقديس، فخر الدِّين الرَّازي، ص١٢٣ .

اللهُ آدمَ على صورته، طوله ستونَ ذراعًا، فلمَّا خَلَقَهُ قال: إذهبْ فسلِّم على أُولئك النَّفرِ من الملائكة جلوس، فاستمعْ ما يُحيُّونك به فإنَّها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السَّلامُ عليكم فقالوا: السَّلام عليك ورحمة الله، فزادوهُ ورحمة الله، فكلُّ مَنْ يدخلُ الجنَّةَ على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقصُ بعدُ حتى الآن)[١].

فاختلفتْ الأقوالُ في الهاء في قول رسولِ الله ﷺ: «على صورته»، على مَنْ تعود ؟ فانقسمتْ على ثلاثة أقوال:

الأوَّل: قالوا: إنَّ الهاءَ تعودُ على بعض بني آدم[٢].

الثَّاني: قالوا: إنَّ الهاءَ كنايةٌ عن اسمينِ ظاهرين هما: الله سبحانه وتعالى وآدم عليه السَّلام، فلا يصحُّ أَنْ تُضافَ الى الله تعالى، لقيام الدَّليل على أَنَّ الله تعالى ليس بذي صورة، فعادت الهاء الى آدمَ عليه السَّلام، فيصيرُ معنى الحديث: أَنَّ الله تعالى خلقَ آدمَ عليه السَّلام على صورتهِ التي خلقهُ عليها تمامًا، لم ينقلْهُ من نطفةٍ الى علقةٍ ... كبنيهِ[٣].

الثَّالث: قالوا: إنَّ الهاءَ تعودُ الى الله تعالى، وتكون الـ «صورة» بمعنى الصِّفة، كما نقولُ: هذه صورةُ هذا الأمر، أَي: صفتهُ، ويكونُ المعنى خلقَ اللهُ آدمَ على صفتهِ تعالى من الحياة والعلم والقدرة والسَّمع والبصر والإرادة والكلام، فميَّزه بذلك على جميع الحيوانات[٤].

ويظهرُ لي ممَّا تقدَّمَ أَنَّ الأوَّلَ أَقربُ إلى التَّأويل من البقية، بدليل قول النَّبي مُحَمَّد ﷺ في نهاية الحديث المذكور أَعلاه: (فكلُّ مَنْ يدخل الجنَّةَ على صورة آدمَ)، واللهُ أعلمُ.

ث. ما يُوهمُ الجوارحَ:

كما في قول الله سبحانهُ وتعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمَن الآية ٢٧]، ففي قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرَّحمَن الآية ٢٧]، مجازٌ مرسلٌ، أَي: ذاته المقدسة.

وهو من باب اطلاق الجزء وإرادة الكلِّ[٥]، ومِنْ ثمَّ فلا يمكنُ أَنْ يكونَ الوجهُ المذكورُ في هذه الآية وغيرها من الآيات والأخبار، هو الوجهُ بمعنى العضو والجارحة، ويدلَّ عليه وجوهٌ، منها قولُ الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص الآية ٨٨]

(١) صحيحُ البخاري، للإمام الحافظ أَبي عبدِ الله مُحَمَّد بن اسماعيل البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، وعليهِ شرحهُ المُسمَّى بفتحِ الباري، لإبن حجر العسقلاني، تحقيق: الشَّيخُ عبدُ العزيزِ بنُ باز والشَّيخُ مُحَمَّدٌ بنُ فؤادِ بن عبدِ الباقي، دار مصر، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، كتاب الإستئذان، باب بدء السَّلام، رقم الحديث، ٦٢٢٧، ٥/١١.

(٢) المراد بقوله: «على صورته»، اي: على صورة المضروب، وذلك لأَنَّ النَّبيَ ﷺ، مرَّ على رجلٍ يضربُ غلامَهُ، ويقولُ لهُ: (قبَّحَ اللهُ وجهَكَ ووجهَ مَنْ أَشبهَكَ) فسمعهُ النَّبي ﷺ، فأَنكرَ النَّبي ﷺ ذلك، فقال له النَّبي ﷺ الحديث المذكور. يُنظرُ: كلام حسن السَّقاف مُحقق كتاب دفع شُبَه التَّشبيه بأَكف التَّنزيه، لأَبي الفرج عبد الرَّحمن بن الجوزي، دار الإمام النَّووي، ط٣. سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص١٤٤.

(٣) يُنظرُ: دفع شُبَه التَّشبيه، ابن الجوزي، تحقيق: حسن السَّقاف، ص١٤٥ وما بعدها.

(٤) يُنظرُ: دفع شُبَه التَّشبيه، ابن الجوزي، تحقيق: حسن السَّقاف، ص١٤٧ وما بعدها.

(٥) يُنظرُ: صفوةُ التَّفاسير، مُحَمَّد علي الصَّابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٦، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ٣٠٣/٣.

، فلـو كان الوجهُ هو العضـو المخصوص، لَلزِم أَنْ يفنى جميعُ الجسـدِ والبـدن، وأَنْ تفنى العينُ التي عـلى الوجـه، وأَنْ لا يبقـى إلَّا مجرد الوجـه، ومَنْ قـال بهذا فهو ذو جهلٍ عظيـم[1]، فقولُ الله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمَن الآيـة ٢٧]، يقتضي وصفَ الوجهِ بالجـلال والإكرام، ومعلـومٌ أَنَّ الموصوفَ بالجلال والإكـرام هو الله تعالى، وذلك يقتضي أَنْ يكونَ الوجهُ مجازًا مرسـلًا عن الذَّات المقدسـة، مِنْ بابِ إطلاق الجزء وإرادة الكلِّ، كما قدَّمنا ذلك.

وبهـذا يتضـحُ أَنَّ الجمهورَ من السَّـلف والخلف، اتفقـوا على تنزيه اللـه تعالى من التَّشـبيه، إلَّا أَنَّهم اختلفوا في طريقة تفسـير النُّصوص المتشابهة تبعًا لعصورهم التي عاشـوا بهـا، ولم يخالفْ في ذلك إلَّا المُشـبِّهةَ الذينَ صوَّروا الذَّاتَ الإلهية كالجسم، وهؤلاء لا يُعتد بكلامهم في ميزان النَّقد العلمي عند مقارنة النُّصوص، حيث قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنـزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَـرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْـغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عِمْـرَان الآيـة ٧]، وبهـذه الآيـة الكريمة نختمُ عـلى مطلبِ الصِّفاتِ الخبريـة، والحمدُ لله ربِّ العالمينَ.

❊ ❊ ❊

(١) يُنظرُ: أَساس التَّقديس، فخر الدِّين الرَّازي، ص١٣٢.

المبحث الثاني

أَثرُ التأويل في التنزيه وردِّ شُبَه المنكرين

- **وهو على مطلبين:**

المطلب الاول: أثرُ التأويلِ في تنزيهِ الباري عزَّ وجلَّ عن الشريك

ليُعلَـمَ أَنَّ الوحدانيةَ أَشرفُ مباحـثِ علمِ التَّوحيد؛ ولذلك نجدُ علماءَ التَّوحيـدِ قدْ اختاروا لهذا العلمِ اسـمًا مشـتقًا من الوحدة، فسـمَّوهُ: علم التَّوحيد، ولعظيمِ العنايةِ به كَثُرَ التنبيهُ عليه والثناءُ به في الآيات القرآنيـة، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البَقَرَة الآية ١٦٣]، وقال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [مُحَمَّد الآيـة ١٩]، الى غير ذلك من الآيات، **وأَمَّا الدَّليل على أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ذاته وفي صفاته:**

فيمكنُ إثباتهُ عنْ طريقِ تقديم آيات كثيرة، منها: قول الله سـبحانه وتعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأَنبِيَـاء الآيـة ٢٢]، فيظهـرُ أثرُ التأويـلِ لهذه الآية الكريمة من خلال اهتمام النحويينَ لهذه الآيةِ كثيراً فضـلًا عنْ علماءِ الـكلام، إِذْ قلَّ أَنْ يخلوَ كتابٌ في النَّحوِ مِنْ ذكرها، فالآيةُ جاءتْ لتقريرِ تفردِ الله تعالى بربوبيةِ السَّماواتِ والأَرضِ ومَنْ فيها، وإلوهيته عزَّ وجلَّ، (والمعنى لو كان يتولاهما ويُدبِّرُ أَمرَهما آلِهةٌ شـتى غير الواحد الـذي هو فاطرها لفسـدتا، وفيه

دلالةٌ على أَمرين:
أَحدهما: وجوبُ أَنْ لايكونَ مُدبِّرها إِلَّا واحدًا.
والثَّاني: أَن لايكون ذلك الواحد إِلَّا إِيَّاه وحدَهُ، لقول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الأَنبِيَاء الآية ٢٢].
فالمشهورُ بين جمهور النُّحاة، أَنَّ «لو» تستعمل لإِمتناع الثَّاني أَعني الجزاءَ، وهو الإِفساد، لإِمتناع الأَوَّل أَعني الشَّرطَ، وهو تعددُ الآلهةِ، يعني: أَنَّ الجزاءَ منتفٍ بسبب انتفاء الشَّرط، وهذا الإِستعمال لـ «لو» هو الشَّائع في القرآن الكريم والحديث النَّبوي الشَّريف، ولكن تجيء «لو» قليلاً بعكس هذا الإِستعمال، أَي: يكون الشَّرط هو المنتفي بسبب انتفاء الجزاء، وهذا موافق لإِستعمال المنطقيين لـ «لو»، فهي عندهم للدلالة على أَنَّ العِلمَ بإِنتفاء الجزاءِ علةٌ للعلمِ بإِنتفاء الشَّرط، ضرورة انتفاء الملزوم (الشرط) بإِنتفاء اللازم (الجزاء)، وقول الله سبحانهُ وتعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأَنبِيَاء الآية ٢٢]، واردٌ على هذه القاعدة، اي: القاعدة الموافقة لإِستعمال المنطقيينَ، لكن الإِستعمال على قاعدة اللغة هو الشَّائع المستفيض، واستعمال المنطقيينَ هذا يُسمَّى المذهب الكلامي، ومعناه: أَنْ يوردَ المتكلِّمُ على صحةِ دعواهُ حجةً قاطعةً مُسَلَّمةً عندَ المخاطب، بأَنْ تكونَ المقدِّماتُ «بعدَ تسليمها» مستلزمةً للمطلوبِ، كما هو واضحٌ في الآية الكريمة، حيث اللازمُ «وهو الفسادُ» باطلٌ، فيلزمُ من فسادِ اللازمِ فسادُ الملزوم «وهو تعددُ الآلهةِ» فيكون باطلاً ايضًا، وليس أَدلُّ على ذلك من الحقّيقةِ والواقعِ[1].
ويظهرُ المعنى المترتبُ لقول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الأَنبِيَاء الآية ٢٢]، من خلال التَّوجيهُ الإِعرابي، وهو أَنْ يكونَ محلُ «إِلَّا» من الإِعراب الرَّفعُ، على أَنَّ «إِلَّا» صفةٌ بمعنى «غير»، فيكونُ المعنى للآيةِ الكريمةِ على هذا التَّوجيه «لو كان فيهما ءَالِهَةٌ غيرُ الله لفسدتا»، وهذا المعنى صحيحٌ ومطابقٌ للواقعِ ومتحققٌ في الحقيقة.
ويبدو لي: أَنَّ الآيةَ الكريمةَ هي إِستدلالٌ على بطلان عقيدة المشركينَ؛ إِذْ زعموا أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ جعلَ آلهةً شركاءَ لهُ في تدبيرِ الخلق، أَي: أَنَّهُ بعدَ أَنْ خلقَ السَّماواتِ والأَرضَ، أَقامَ في الإِرض شركاءَ لهُ، ولذلك كانوا يقولونَ في التلبيةِ بالحجِّ: «لبيكَ لا شريكَ لكَ إِلَّا شريكًا هو لكَ تملكهُ وما ملكَ»، وذلك من الضَّلالِ المضطربِ، الذي وصفهُ لهم أَئمةُ الكفرِ بجهلِهم وترويجِ ضلالِهم على عقولِ الدهماء[2].
فالآيةُ الكريمة تُبيِّنُ استحالةَ وجودِ آلهةٍ غير الله تعالى بعدَ خلقِ السَّماوات والأَرض، لأَنَّ المشركينَ

(١) يُنظرُ: مختصرِ المعاني، لسعدِ الدِّينِ التَّفتازاني، المتوفى سنة ٧٩١هـ، مع الحاشية لشيخ الهند محمود حسن المتوفى سنة ١٣٣٩هـ، مكتبة البشرى، باكستان، ط١٤٣٣،٢هـ-٢٠١٢م، ٢٤٧/٢ وما بعدها ؛ ويُنظرُ: جواهرُ البلاغة، للسَّيِّدِ أَحمدَ الهاشمي، تعليق: سليمان الصَّالح، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص٣٣١.
(٢) يُنظرُ: التَّحريرُ والتَّنويرُ المعروف بتفسير ابن عاشور، مُحَمَّدٌ الطَّاهرُ بنُ عاشور، مؤسسة التَّاريخ العربي، بيروت، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، ٢٩/١٧.

لمْ يُنكـروا أَنَّ اللـهَ هو خالقُ السَّـماوات والأَرض، حيـثُ قالَ اللهُ تعـالى: ﴿وَلَئِن سَـأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لُقمَان الآية ٢٥]، فالآيةُ الكريمةُ مسـوقةٌ لإثبات الوحدانية لا لإثبات وجود الصَّانـع، اذ لا نـزاعَ فيـه عندَ المخاطبـينَ، ولكنَّها منتظمةٌ على ما يناسـبُ اعتقادُهم الباطلُ، لكشـف خَطَئِهم، وإعلان باطِلِهـم[1] في وجود آلهةٍ مع الله سبحانهُ وتعالى.

أَمَّا وجهُ انتظام هذا الإسـتدلال، فهو أَنَّهُ لو تعددتْ الآلهةُ، لَلَزِمَ أَنْ يكونَ كلُّ إلَه متصفًا بصفات الإلوهية المعروفـة آثارها، وإنَّ تعددَ الآلهة يسـتلزمُ اختلافَ متعلِّقـات تصرفاتها، لأَنَّها لو اسـتوتْ في تعلُّقات إرادتهـا، لكانَ تعددُ الآلهة عبثًا، بالإسـتغناء بواحد منهم، فلا جَـرمَ أَنْ تختلفَ مُتعلِّقاتُ إرادات الآلهة باختـلاف مصالح رعاياهم، فـكلٌّ يغارُ على ما في سـلطانه، فثبتَ أَنَّ التعددَ يستلزمُ اختلافَ الإرادات وحدوثَ الخلاف[2]، كما قال الله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِـن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِـنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [المُؤمِنُون الآية ٩١]، وذِكرُ نفي الولد في الآية، هو استقصاءٌ للردِّ على مختلف عقائد أَهل الـشَّرك، فإنَّ فيهم مَنْ توهمَ أَنَّه ارتقى عنْ عبادة الأَصنـام، فعبدوا الملائكةَ، وقالوا هم بنـاتُ الله «تعالى اللـه عن ذلـك»، وإنَّما قُدِّمَ نفي الولد عـلى نفي الشَّريك مع أَنَّ اكثرَ المشركينَ عبـدةُ أَصنـامٍ لا عبدة الملائكة، نظرًا الى أَنَّ شـبهةَ عبـدة الملائكة أَقوى مِنْ شُـبهَة عبدة الأَصنام؛ لأَنَّ الملائكـةَ غير مشـاهدة، فدلائلُ الحدوث ليسـتْ باديةً عليهم كالأَصنـام، ولأَنَّ الذينَ زعموهم بنات الله «تعالى الله عُنْ ذلك»، اقربُ للتمويه مِنْ الذينَ زعموا الحجارةَ شركاءَ لله تعالى[3].

وأَمَّا قولُ الله تعالى: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ [المُؤمِنُون الآية ٩١]، فهو اسـتدلالٌ عـلى امتناع أَنْ يكونَ مع اللـه تعالى آلهـة، وإنَّما لمْ يسـتدلْ على امتناع أَنْ يتخـذَ اللـهُ تعالى ولدًا، لأَنَّ الإسـتدلالَ على ما بعـده مُغني عنـه، ولأَن مابعده أَعـمُّ، وانتفاء الأَعمِّ يقتـضي انتفاء الأَخصِّ، فإنَّه لـو كان لله تعالى ولدٌ «تعـالى الله عن ذلك» لـكان الاولادُ آلهةً؛ لأَنَّ ولدَ كلِّ موجـودٍ إنَّما يتكونُ على مثـل ماهية اصله كما دلَّ عليـه قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَـا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزُّخرُف الآيـة ٨١][4]، وأَكتفي بهذا القدر من الأَدلـة النَّقلية، والتي ارجو أَنْ تكونَ كافيةً لإيضاح المطلوب، عَصَمَنَا الله تعالى وإيَّاكم قلبًـا وقولاً وعملاً مِنْ كلِّ زيغٍ وزللٍ وخللٍ، ووهبَ لنا ولكم بإحسـانه وفضله خيرَ الأَملِ وخيرَ العملِ، والحمدُ لله وليِّ التَّوفيق.

- **المطلب الثاني: أثرُ التأويل في الردِّ على شُبهاتِ المُنكرينَ للنُّبوات**

مـن المعلـوم أَنَّ منكريَ النُّبـوات فِـرقٌ، وكلُّ فِرقةٍ لها شُـبَهٌ و مطاعين، منها تختـصُ بالدَّليل العقلي،

(١) يُنظـرُ: التَّحريـرُ والتَّنويـرُ، ابـن عاشـور، ٢٩/١٧ وما بعدها.

(٢) يُنظرُ: التَّحريرُ والتَّنويرُ، ابن عاشور، ٣٠/١٧

(٣) يُنظرُ: التَّحرير والتَّنوير: ابن عاشور، ٩٢/١٨.

(٤) يُنظـرُ: ضوابطُ المعرفةِ وأُصولُ الإسـتدلال والمناظرة، عبـدُ الرَّحمن بنُ حسـنِ بـنِ حبنكة الميـداني، دار القلم، دمشق، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، ص٣٥٥.

وأُخرى تختصُّ بالدَّليل النقلي، وسوف أَتناولُ مناقشةَ الشُّبَهِ التي لها علاقة بدليل النَّقل فحسب؛ لكون موضوعِ البحثِ يدورُ حولَ إِظهارِ اَثر التأويل في التنزيه، والذي منه الردُّ على شُبهات المنكرينَ للنُّبوات، وسأَقتصرُ على أَهمِّ شُبهةٍ وأَخطرُها وهي الطَّعن في الوحي، فمن المعلوم أَنَّ الوحيَ هو الأَساس الأَوَّل لعامَّةِ الإِخبارات الغيبية وشؤون العقيدة وأَحكام التَّشريع، ذلك أَنَّ حقيقةَ الوحي هي الفيصلُ بينَ الإِنسانِ الذي يُفَكِّرُ مِنْ عنده ويُشَرِّعُ بواسطة رأيه وعقله، وبين الإِنسان الذي يُبَلِّغُ عنْ ربِّه دون أَنْ يُغيرَّ أَو ينقصَ أَو يزيدَ؛ لأَجلِ هذا يهتمُ أَعداءُ الإِسلام بمعالجة موضوعِ الوحي في حياته ﷺ، ويبذلونَ جهدًا فكريًا في تكلُّف مِنْ أَجلِ التَّلبيسِ على حقيقةِ الوحي، والخلطِ بينهُ وبينَ الإِلهامِ وحديث النَّفسِ بل وحتى الصَّرعِ ايضًا، وذلك لعلمهم بأَنَّ موضوعَ الوحي هو منبعُ يقينِ المسلمينَ و إِيمانهم بما جاءَ به سَيِّدُنا مُحَمَّدٌ ﷺ، فلئنِ أُتيحَ لهم تشكيكُ المسلمينَ بحقيقةِ الوحي، أَمكنَ تكفيرهم بكلِّ ما قد يتفرعُ عنهُ مِنْ عقائدَ وأَحكام، وأَمكنهم أَنْ يحملوهم على الإِستجابة لفكرة أَنَّ كلَّ ما دعا اليه الرَّسولُ ﷺ من المبادئ والأَحكام التَّشريعية، ليس إِلَّا من تفكيرِه الذَّاتي.

وللرَّدِّ على هذه الشُّبهة الخطيرة، لابدَّ من معرفةِ **معنى الوحي** أَوَّلًا:

فقد أَشارتْ كتبُ اللغةِ الى أَنَّ أَصل **معنى الوحي** يتضمنُ معاني عديدة، مِنْ أَشهرها: الإِعلامُ في خفاء، ويدلُّ على إِلقاءِ عِلمٍ في اخفاء، فكلُّ ما أَلقيتُهُ الى غيرك حتى عَلِمَهُ فهو **وحيٌ** كيف كان[1].

وأَمَّا الوحي في الإِصطلاح: فهو (ما يُوحي اللهُ تعالى الى نبيٍّ من الأَنبياء فيُثَبِّتُهُ في قلبه، فيتكلَّمُ به ويكتبهُ، وهو كلامُ الله تعالى، ومنه ما لا يتكلَّمُ به ولا يكتبهُ لأَحد، ولا يأمرُ بكتابته ولكنهُ يُحدِّثُ به النَّاسَ حديثًا، ويُبيِّنُ لهم أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أَمَرَهُ أَن يُبَيِّنَهُ ويُبَلِّغهم إِياهُ)[2].

ويبدو لي مما تقدَّمَ أَنَّ الوحيَ لا يخلو مِنْ كونهِ إِعلامًا خفيًا مِنْ جهةِ الله تعالى، الى نبيٍّ من أَنبيائه أَو رسولٍ مِنْ رسله، وإِن إِختلفتْ طرقُ وأَحوال هذا الإِعلام، وأَنَّ النبيَّ أَو الرَّسولَ الموحى اليه يجدُ اليقينَ بأَنَّهُ مِنْ عند الله تعالى سواء أَكان هذا الوحي بوساطة أَم من غير وساطة، واللهُ أَعلمُ.

ومن المعلوم أَنَّ الوحيَ معجزةٌ إِلهيةٌ، خصَّ اللهُ تعالى بها أَنبياءَهُ ورسلَهُ، وقد بيَّنَ اللهُ سبحانهُ وتعالى **أَنواعَ الوحي** في قوله تعالى: ﴿ ۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشُورَى الآية ٥١] .

فنلاحظ القصرِ المستفاد من النَّفي والإِستثناء في الآية الكريمة: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشُورَى الآية ٥١] ، فالقصر: **خصَّصَ الحكمَ**، «وهو كلام الله تعالى في أَقسام ثلاثة، الأَوَّلُ:

(١) يُنظرُ: معجم المقاييس في اللغة، أَحمد بن فارس بن زكريا، المتوفى (سنة ٣٩٥ هـ)، تحقيق: شهابُ الدِّين أَبو عمرو، ط ٢، دار الفكرِ - بيروت، ط. سنة ١٩٩٨م، باب الواو و الهاء، ص ١٠٨٥.

(٢) الإِتقان في علوم القرآن، السِّيوطي، ص ١٢٠ .

الوحـي، والثَّاني: اسـماعُ الكلامِ من غـير أَنْ يُبصرَ السَّامعُ مَنْ يُكلِّمه، والثَّالثُ: إرسالُ المـَلَكِ»، **ونفى الكلام عن سوى هذه الطُّرق الثَّلاثة**(١).

والغالـبُ مِـنْ حـال نبيِّنـا مُحَمَّد ﷺ هو إرسـال المـَلَكِ، كما هو حال كثير من الأَنبياء عليهم الصَّلاةُ والسَّـلامُ، وهو المرادُ بقول الله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِـلَ رَسُولًا﴾ [الشُّورَى الآيـة ٥١] ، أَي: مَلَكًا ﴿فَيُوحِيَ﴾ [الشُّورَى الآية ٥١]، ذلك الرَّسـولُ الملكُ الى المُرسَلِ اليه الذي هو الرَّسولُ البشري، ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ [الشُّـورَى الآية ٥١]، أَي: بأَمرِ وتيسـيرِ الله تعالى، ما يشاء أَنْ يوحيَه(٢)، وهذا النَّوعُ من الوحي هو أَشـهرُ الأَنواعِ وأَكثرُها، ووحي القرآن الكريم كلُّهُ مِنْ هـذا القبيل، وهو المصطلح عليه بالوحي الجلي.

ونخلـصُ الى أَنَّ المـرادَ بالتكلُّـم بلـوغ مـراد الله تعالى الى النَّبيِّ ﷺ، سـواء كان ذلك الإبلاغ بكلام يسمعهُ ولا يرى مصدره، أَم بكلام يُبلِّغه اليه المـَلَكُ عـن الله تعـالى، أَو بعلمٍ يُلقى في نفـس النَّبيِّ ﷺ يوقنُ بأَنَّـهُ مرادُ الله تعالى بعلمٍ ضروري يجعلهُ الله تعالى في نفسـه، فإطلاق الـكلام على هذه الأَنواع الثلاثة، بعضهُ حقيقة مثل: ما يَسمعهُ النَّبيُّ ﷺ، كما سمعَ موسى عليه السَّلام كلامَ الله سبحانهُ وتعالى، وبعضهُ مجازٌ قريـبٌ من الحقيقة مثل: ما يُبلِّغهُ الى النَّبيِّ ﷺ، فإِنَّهُ رسـالةٌ بكلام، وبعضهُ مجازٌ مَحضٌ مثـل: ما يُلقى في قلب النَّبيِّ ﷺ مع العلم بأَنَّهُ مرادُ الله تعالى.

فإطـلاق فعل: ﴿يُكَلِّمَهُ﴾ [الشُّـورَى الآيـة ٥١] على جميع أَقسـام الوحي، هو من اسـتعمال اللفظ في حقيقته ومجـازه، عـلى طريقـة اسـتعمال المشـترك(٣) في معانيه(٤).

ومِنْ ثمَّ يظهـرُ لنا، أَنَّ الوحيَ أَمـرٌ طارئٌ زائدٌ على الطِّبَـاع البشريـة، خارجٌ عـن النَّفـس والباطن، لا يخضعُ لأَيِّ تأثيرٍ يطرأُ عليها.

فيتلقـى النَّبيُّ الكريمُ ﷺ الوحـيَ من الله عزَّ وجلَّ بوسـاطة المـَلَكِ الموكلِ بذلك، فالوحي في لسان الـشَّرعِ معجزةٌ إِلهية، خـصَّ الله تعالى بهـا أَنبيائَهُ عليهم الصَّلاةُ والسَّـلامُ، ويؤَيِّدُ هذا القول، الظواهر التـي كانت تصاحـبُ النَّبيَّ ﷺ، حـين يُوحى اليه فيغـطُّ غطيـطَ النائم، ويغيـب غيبةً كأَنَّها غشـيةٌ أَو إِغـماءٌ، وما هي في شيءٍ مـن الغيبة أَو الإِغماء، إِنْ هي إِلَّا اسـتغراق في لقاء المـَلَـكِ الروحاني، فهذا

(١) القصر: (هو تخصيـصُ شيءٍ بشيءٍ بطريقٍ مخصوصٍ وهو حقيقي وغير حقيقي؛ لأَنَّ تخصيصَ الشَّيءِ بالشَّيءِ إِمَّا أَنْ يكونَ بحسـبِ الحقيقةِ وفي نفسِ الأَمرِ بأَلَّا يتجاوزهُ إِلى غيرِه أَصـلاً، وهو الحقيقي، أو بحسـبِ الإِضافة إِلى شيءٍ آخـرَ بأَلَّا يتجـاوزه إِلى ذلك الشَّيءِ وإِنْ امكـنَ أَنْ يتجاوزَهُ إِلى شيءٍ آخـرَ في الجملة)، مختـصر المعاني، للتَّفتازاني، ٣٤٥/١ وما بعدها.

(٢) يُنظـرُ: روحُ المعاني في تفسـير القرآن العظيم والسَّـبع المثـاني، لأَبي الفضـل شـهاب الدِّين محمـود الآلوسي، المتوفى سـنة ١٢٧٠هـ، تحقيق: مُحَمَّدٌ بنُ أَمين، وعمرُ بنُ عبدِ السَّلام، دار إِحياء التُّراث العربي، ١٤٢٠ه، ٢٥/ ٧٧ .

(٣) المشـترك: أَي: نسـبة الإِشتراك، وهي نسـبة معنى الى معنى من جهة إِشـتراكهما في لفظٍ واحدٍ يدلُّ عليهما، ففي الإِشتراك يتحدُّ اللفظُ ويتعدد المعنى، على عكس التَّرادف. يُنظـرُ: ضوابط المعرفة، عبدُ الرَّحمن بنُ حسـنِ بنِ حبنكة، ص ٥٣.

(٤) يُنظرُ: التَّحريرُ والتَّنويرُ، ابن عاشور, ٢٥ / ١٩٦.

كلُّـهُ يشـهدُ بـأَنَّ الوحيَ حـقٌّ، ولم يكنْ مـن قبيلِ حديث النَّفْسِ[١].

وكـما أَنَّ الوعيَ الكاملَ والحفـظَ المضبوطَ للنَّبيِّ الكريـم ﷺ، عند الوحـي وبعده، مع كونـهِ أُمِّيًا لا يعرفُ القراءةَ والكتابـةَ، جَعَلَتْ النَّبي الكريم صلَّى الله عليه وسـلَّم يتيقنُ الوحيَ تيقنًا لا يداخلهُ ريبٌ، حيثُ يـروي الإمام البخـاري في صحيحه عن ابن عبـاس رضي الله عنهما في قول اللـه تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَـانَكَ لِتَعْجَلَ بِـهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ [القِيَامَة الآية ١٦]، قال: كان رسـول الله ﷺ يعالج من التنزيل شـدة، وكان مـمَّا يُحـرِّكُ شـفتيه، فقـال ابن عبـاس: فأَنا أُحرِّكهـما لكـم كما كان رسـول الله عليـه الصلاة والسلام يُحرِّكهما، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَـانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَـا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القِيَامَـة من الآية ١٦ الى الآية ١٧]، قال: جمعه لك في صـدرك وتقرأه، ﴿فَـإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِـعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القِيَامَـة الآية ١٨]، قال: فاسـتمع لـه وأَنصت، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القِيَامَة الآية ١٩] ثم إِنَّ علينا أَنْ تقرأَه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إِذا أَتاهُ جبريل استمع، فـإِذا انطلق جبريل قرأَه النبيُّ عليه الصلاة والسـلام كما قرأَه[٢]، فهذا أَوضحُ دليلٍ على استقلالية الوحي عن نفسه ﷺ، وفي هذا كفاية للردِّ على هذه الشُبهة.

وكذا قال المنكرون، إِنَّ رسولَنا الكريمَ عليه الصلاة والسلام يَنْسَى (حاشاه)، واسـتدلوا بالآية الكريمة: ﴿سَـنُقْرِئُكَ فَـلَا تَنـسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ [الأَعْلَى الآيـة ٦]، فقول الله تعـالى ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ [الأَعْلَى الآية ٦]، نهيٌ بعدم النسـيان، موجهٌ لرسـول الله عليه الصلاة والسلام، فـإِذا ثبـتَ النسـيانُ للنَّبـيِّ الكريـم عليـه الصلاة والسلام، سيؤَدي الى الطعن بالوحي ومن ثمَّ الطعن بالقران الكريم؛ لأَنَّ رسولَ الله عليه الصلاة والسلام غيرُ قادرٍ على ضبط ما يُوحى اليهِ بسـببِ النسـيانِ، حاشاهُ والف حاشاه[٣].

والجـوابُ على هذه الشُـبْهَة، بعد الاسـتعانة بالله العظيم، هـو: إِنَّ مَنْ لهُ معرفةٌ باللغـة العربية لايُثيرُ هذه المسألة فضلاً عن اعتبارها شُبْهَة، ويشوِّشُ بها على البسـطاء مـن النَّاس؛ وذلـك لأَنَّ من المعلوم في علم النحو أَنَّهُ يوجدُ نوعانِ من (لا) التي تدخلُ على الفعل المضارع:

الأُولى: تسـمَّى (لا) الناهيـة، والتـي تجـزم الفعل المضارع بالسـكون اذا كان الفعـلُ صحيحَ الآخر، وبحذفِ حرفِ العلةِ اذا كانَ معتلَ الآخر[٤].

والثانيـة: تسـمَّى (لا) النافيـة، ووظيفتُهـا نفـي مضمـونِ الفعل فقط، دون تغيـير حركةِ آخر الفعلِ إِنْ كان صحيـحَ الآخـر، او حذف حـرف العلة إِنْ

(١) ينظـر: دراسـات في عصر النبـوة ، أ.د. لبيـد إِبراهيم محمد، الجامعة العراقية، ص١٤.

(٢) يُنظـر: صحيـح البخاري وعليه شرحه المسـمى فتح الباري، العسـقلاني، كتاب بدء الوحـي، رقم الحديث: ٥، ٤٣/٢ وما بعدها.

(٣) أَنَّ هذه الشبهة متداولة (مع الأَسف) عن طريق التواصل الاجتماعي (النت) وعلى نطاق واسع.

(٤) ينظر: شـذور الذهب، الإِمامُ جمالُ الدِّين بنُ يوسـفَ بنِ أَحمدَ بـنِ عبدِ الله ابنِ هشـام الأنصاري (ت٧٠٨هـ)، المكتبـة العصريـة- بـيروت ، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، ص٣٤٩.

كان معتـلَ الآخـر[١].

فنلاحـظُ الفعلَ المضارعَ في ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ [الأَعْلَى الآيـة ٦]، أَنَّـه غير مجـزوم، مما يؤكِدُ لنـا أَنَّ (لا) في الآيـة الكريمة نافيةٌ وليسـت ناهيـةً، وبذلك يكون المعنى: هو نفي النسيانِ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، لا نهيهُ عن النسيان عليه الصلاة والسلام، وبذلـك تكون صفةَ كمالٍ لا صفة نقص، كما يُرَوِّجُ المبطلون، والله الموفق للرشاد.

وكذلـك يقولـونَ إِنَّ سـورةَ العلقِ افتتحـتْ بكلمة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العَلَق الآية ١]، وإِنَّ هـذه الكلمةَ لا تدل على معناها الحقيقي الذي يفيد القراءة، لأَنَّ رسـولَ الله ﷺ لم يكـنْ امامهُ كتابًا ليقـرأه، فلذلك لا بدَّ للأمر أَنْ يخـرجَ عـن حقيقتـه الى معنـى مجـازي، وهو بمعنى(بـشِّرْ)، او بمعنـى (أعلـنْ)، وليـس هناك مفعـول لهـذا الفعـل، وحتـى إِنْ كان بمعنى بشِّرْ، ولكن بشّر بماذا؟

وقال اخرون إِنَّ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العَلَق الآية ١] بمعنى (امدح)، وذلك بحذفِ حرفِ الجرِّ(الباء من بِإِسـم)، بحيث يصير المعنى هكذا: (امدحْ او مجدْ اسمَ ربِكَ).

وهناك من المنكرينَ او من المسـتشرقينَ من يلوي عنـقَ الـكلامِ ليصـل الى هدفهِ غـير المعلن، وهو الموروث اليهومسـيحي (اي: المـوروث اليهودي والمسيحي)، ويزعم أَنَّ الآياتِ الخمسَ الأولى من سورة العلق المذكورة في القرآن الكريم، قد اكتسبتْ معنى مقارباً للموروث اليهومسـيحي، وذلك يتأكد حين ترجعُ الى الرسـالاتِ السَّـماويةِ السـابقة عند أَهلِ الكتاب، وهم أَهلُ اليهودِ والنصارى، وقد آمنَ الرسولُ عليه الصلاة واالسلام بمحتوى هذا الكتاب عـن اقتناع لوقتٍ ما، وهـذا مثال للنِّيةِ السـيئة عند دارسي الاسلاميات[٢].

واما الجواب على هـذه الدعاوي المضللة، فأقولُ وباللـه التوفيق، إِنَّ قـولَ الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العَلَق الآية ١] اَمرٌ بالقراءة، والقراءة نطقٌ بكلامٍ معين مكتوب او محفوظ على ظهرِ قلب، وتقدمَ في قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النَّحْل الآية ٩٨]، والأَمر بالقراءة مستعملٌ في حقيقته، وهو لتحصيل فعلٌ في الحالِ او الإِستقبال، فالمطلـوبُ في قـول اللـه تعـالى: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العَلَق الآيـة ١]، أَنْ يفعـلَ القـراءةَ في الحـالِ او المسـتقبلِ القريـب، اي: أَنْ يقولَ ما سُـيملى عليـه، والقرينة على أَنَّهُ أَمرٌ بالقراءة في المسـتقبل القريب، لأَنَّهُ لم يتقدمْ املاءُ كلامٍ عليه محفـوظ فتطلبَ منه قراءتهُ، ولا سُـلِّمتْ اليـه صحيفةٌ فتطلب منـه قرائتُها، فهو كما يقول المعلم للتلميـذ: اكتب فيتأَهب لكتابة ما سيمليه عليه[٣].

أَمَّا قولُ البعض بأَنَّ هذه الآياتِ الخمس من سـورة العلق، قد اكتسبتْ معنى مطابقاً للموروث اليهودي المسيحي ...

---

(١) يُنظر: جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلايني، دار الحديث- القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م، ص٦٢٠.

(٢) ينظـر: دفـاع عـن محمد صـلى الله عليه وسـلم ضد المنتقصينَ من قدره، د. عبد الرحمن بدوي، ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر، ص٥١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: محمد الظاهر ابن عاشـور، ٣/ ٣٨٤.

فأقـول وبالله التوفيق، لو نُسـلِّمُ جـدلاً لما قالوا، فنحن كمسلمين نُقِرُ بأَنَّ التوراةَ والإنجيلَ هما كلامُ الله تبارك وتعالى، فإذا تطابقَ فلا اشـكال في ذلك؛ لأَنَّ الكلَّ كلامُ الله تعالى، لكنَّ الإشـكالَ القائمَ في مسألتين:

اولهـما: إنَّ من الثابـت لدينا أَنَّ الكتبَ المقدسـة سـواءٌ لليهـود او النصـارى محرَّفـةٌ، وثانيهما: إن رسـولَ الله عليه الصلاة والسلام لم يكنْ يعلمُ هذه النصوصَ الموجـودة بين طيات الكتب المقدسـة لليهود والنصارى، لأَنَّـهُ أُمي اصلاً لا يعرف القراءة والكتابة، ولم يثبتْ في السـيرة أَنَّـهُ دَرسَ على احدٍ هذه الكتبَ، فضلاً عن ما يصاحبُ الرسولُ الكريم عليه الصَّلاة والسَّـلام من احوال صعبةٍ حين يُوحى اليه، فالذي يعرف كلاماً مسبقاً لا تكن هكذا حالته، والله وليُّ التوفيق والسداد.

أَمَّـا بقيـةُ ما يطرح مـن قبل اعداء الاسـلام وبعض المسـتشرقين من شُـبهاتٍ حول رسـول اللـه عليه الصـلاة والسـلام فلا تقـوى أَنْ تكونَ شُـبْهَة أَوَّلاً، والقلم ارفعُ مِنْ أَنْ يكتبها ثانياً؛ لضعفها وضحالتها، والله تبارك وتعالى الموفق الى سبيل الرشاد، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه وسلَّمَ.

❊ ❊ ❊

أَهمُّ النتائج

بعـدَ أَنْ أَنعمَ اللهُ عزَّ وجلَّ عليَّ بإتمامِ هذا البحثِ، فقد توصلتُ وبالله التَّوفيقُ الى النتائجِ الآتية:

١. إنَّ التَّداخلَ بين العلوم حقيقةٌ ثابتةٌ، فَعلمُ العقيدة له إرتباطٌ وثيق بعلوم اللغة والنَّحو والبلاغة.

٢. لا سـبيل للقضـاء عـلى التَّشـبيه إلَّا إذا أُوِّلـتْ الصِّفاتُ الخبريـةُ الواردةُ بالنُّصـوص، وحين رأَى العلـماءُ أَنَّ فَتْحَ بابِ التَّأويلِ لهُ أَضرارهُ الجسـيمة، وضعوا لـهُ القواعـدَ، حتى لا يـؤَدِّي الى التلاعب بالنُّصـوص وفق الهـوى، دون الإلتفات الى أُصول الشَّريعـة ومقاصدهـا، وأَنْ يُصـارَ إلى التأويل، إذا أَدتْ- في حالة أَخذها- إلى التَّجسيم، او قام الدَّليل العقـلي الصحيح على بطلان المعنـى الذي يؤخذُ من ظاهر النَّصِّ، وأَلَّا نصل بسببِ التأويلِ إلى معنى يهدمُ أَساسًا مِنْ أُسسِ الشَّريعة.

٣. الإفادةُ من التأويل في توضيحِ مفرداتِ العقيدة، مـع محاولةِ ربـطِ علومِ اللغـةِ العربيـة لفهمِ علوم القرآن الكريم وإدراكِ بعضِ أَسراره.

٤. يرتكـزُ أَثر التأويل في بحثنا عـلى الدَّليل النَّقلي فحسـب؛ لذلك يكونُ واضحًا في المسائل العقدية المسـتندة في إثباتها عـلى الأَدلة النَّقليـة، أَكثرَ من المستندة في اثباتها على الأَدلة العقلية.

٥. إنَّ بعـضَ الفِرَقِ الإسـلاميةِ قد سَـخَّروا البلاغةَ في أَكثر الأَحيـان لخدمةِ عقيدتهـم، واتخذوا منها سلاحًا أَساسيًا في تأويل ما تشابهَ من الآي؛ إذ كانوا يلتزمـونَ بتوجيهاتٍ بلاغيةٍ حتى ولو كانت ضعيفةً،

لكنْ بـشرطِ أَنْ لا تتعارضَ مع مذهبِهم الإعتقادي، مُتناسـينَ في سـبيلهِ جميـعَ المعـاني والمدلولاتِ الأُخرى.

هـذا خلاصة ما توصلتُ اليهِ مِـنْ نتائجٍ ومقترحاتٍ وتوصيـات، فإِنْ كانَ ما توصلتُ اليه صوابًا فبفضلِ الله سـبحانهُ وتعـالى، وإِنْ كنتُ قد اخطـأتُ فَمِنْ نفسي، والحمدُ لله وليِّ التَّوفيقِ والرَّشاد.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
١. الإتقانُ في علومِ القرآن، للإمام عبدِ الرَّحمنِ ابنِ أَبي بكـر السَّـيوطي، دار الكتاب العـربي، بيروت، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م).
٢. أَسـاسُ التَّقديسِ، للإمـام فخرِ الدِّيـن الرَّازي، تحقيـق: د. أَحمـد حجـازي السَّـقا، دار الجيـل، بيروت، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
٣. أُصـولُ الدِّيـنِ، للإمـام عبـدِ القاهرِ بـنِ ظاهر البغـدادي، المتـوفى سـنة ٤٢٩هـ، دار الكتـب العربية، بيروت.
٤. أُصـولُ الدِّينِ الإسـلامي، للدكتور رشـدي بنِ مُحَمَّد بـنِ عليانَ والدكتور قحطان بنِ عبد الرَّحمن الدَّوري، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد.
٥. الأَعـلامُ ، خـيرُ الدِّيـنِ الـزَّركلي، دار العلـم للملايين، بيروت.
٦. البرهانُ في علوم القرآن، للإمام بدرِ الدِّينِ مُحَمَّد بنِ عبـدِ الله الزَّركشي، تحقيـق: مُحَمَّدٌ ابو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التَّراث، القاهرة.
٧. التَّحريرُ والتَّنويرُ المعروف بتفسـير ابن عاشور، مُحَمَّدٌ الطَّاهرُ بنُ عاشـور، مؤسسة التَّاريخ العربي، بيروت، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
٨. جامـع الـدروس العربيـة، الشـيخ مصطفـى الغلايني، دار الحديث- القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
٩. جواهرُ البلاغة، للسَّـيِّد أَحمدَ الهاشمي، تعليق: سـليمان الصَّالـح، دار المعرفـة، بـيروت، ط٣،

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
١٠. دراسات في عصر النبوة، أ.د. لبيد إبراهيم محمد، الجامعة العراقية.
١١. دراسات في الفِرَق والعقائد الإسلامية، د. عِرفانُ بنُ عبدِ الحميد، دار التَّربية، بغداد.
١٢. دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره، د. عبد الرحمن بدوي، ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر
١٣. دفعُ شُبَهِ التَّشبيهِ بأَكُفِّ التَّنزيهِ، للإمام الحافظ أَبي الفرج عبد الرَّحمن بن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ، تحقيق: حسنُ السَّقاف، دار الإمام النَّووي، ط٣، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).
١٤. دفعُ شُبَهِ التَّشبيهِ بأَكُفِّ التَّنزيهِ، للإمام الحافظ أَبي فرج عبدِ الرَّحمن، المتوفى سنة ٥٩٧هـ ، تحقيق: مُحَمَّدٌ بنُ زاهدٍ الكوثري، المكتبة التَّوفيقية.
١٥. روحُ المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، لأَبي الفضل شهاب الدِّين محمود الآلوسي، المتوفى سنة ١٢٧٠هـ، تحقيق: مُحَمَّدٌ بنُ أَمينٍ، وعمرُ بنُ عبدِ السَّلام، دار إِحياء التُّراث العربي، ١٤٢٠هـ.
١٦. شذور الذهب، الإمام جمالُ الدِّين بنُ يوسفَ بنِ أَحمدَ بنِ عبدِ الله ابنِ هشام الأنصاري (ت٧٠٨هـ)، المكتبة العصرية- بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
١٧. صحيحُ البخاري، للإمام الحافظ أَبي عبدِ الله مُحَمَّدِ بنِ اسماعيل البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، وعليهِ شرحهُ المُسمَّى بفتحِ الباري، لإِبن حجرٍ العسقلاني، تحقيق: الشَّيخُ عبدُ العزيزِ بنُ بازٍ والشَّيخُ مُحَمَّدٌ بنُ فؤَادٍ بنِ عبدِ الباقي، دار مصر، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
١٨. صفوةُ التَّفاسيرِ، مُحَمَّد علي الصَّابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٦، (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).
١٩. ضوابطُ المعرفةِ وأُصولُ الإِستدلالِ والمناظرةِ، عبدُ الرَّحمن بنُ حسنٍ بنِ حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
٢٠. فصلُ المقالِ فيما بين الحكمة والشَّريعة، أَبو الوليد مُحَمَّدٌ بنُ أَحمدَ الشَّهير بابن رشد، طبعة بلا تاريخ.
٢١. فيصلُ التَّفرقةِ بينَ الإِسلام والزندقة، للإِمام أَبي حامد مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ الغزالي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ، تحقيق محمود بيجو، دار البيروتي، دمشق، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
٢٢. الكشَّاف، أَبو القاسم جارالله محمود بن عُمرَ الزَّمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨هـ، ط٣، دار المعرفة، بيروت، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).
٢٣. الكليات، لأَبي البقاء أَيوبَ بنِ موسى الكفوي، المتوفى سنة ١٠٩٤هـ، تحقيق: د.عدنان درويش ومُحَمَّد المصري، مؤَسسة الرَّسالة، دمشق، ط٢، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
٢٤. مختصرِ المعاني، لسعدِ الدِّينِ التَّفتازاني، المتوفى سنة ٧٩١هـ، مع الحاشية لشيخ الهند محمود حسن المتوفى سنة ١٣٣٩هـ، مكتبة البشرى، باكستان، ط٢، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
٢٥. المسامرةُ شرحُ المسايرة، لإِبن الهمام، كمالُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ بنُ مُحَمَّدٍ الشَّافعي، المتوفى سنة ٩٠٦هـ، المكتبة العصرية، بيروت، (١٤٢٥هـ -

٢٠٠٤م).
٢٦. معجمُ المقاييسِ في اللغة، أَحمدُ بنُ فارس بنِ زكريا، المتوفى سنة ٣٩٥هـ، تحقيق: شهاب الدِّين ابو عمرو، ط٢، دار الفكر، بيروت، (١٩٩٨م).
٢٧. المفـرداتُ في غريـب أَلفاظ القـرآن، للعلاَّمة الرَّاغب الأَصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط٤، (١٤٢٥هـ).
٢٨. المقدمـة، للإِمام وليِّ الدِّينِ عبـدِ الرَّحمن بنِ مُحَمَّـد ابـن خلدون، المتـوفى سـنة ٨٠٨هـ، دار الشَّرق العربي سوريا، (١٤٢٥هـ).

❊ ❊ ❊